

الرسم والكتابة على طاولات الدراسة

بين تاريخ الذاكرة والتفريغ النفسي

أ. حماني حازم

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية،

جامعة عنابة. الجزائر

ملخص

تنتشر ظاهرة الكتابة والرسم على طاولات الدراسة بشكل واسع في كل مدارسنا ومعاهدنا لدرجة أننا لا نكاد نجد طاولة دون رسم أو كتابة، فسواء كنا في مدارس ابتدائية أو متوسطات أو ثانويات أو معاهد للتكوين أو حتى مدرجات وأقسام الجامعات، فوجه التشابه قائم بشكل دائم... رسومات وكتابات.

ورغم الاختلاف في المواضيع والاهتمامات، والرداءة والنوعية، وبين البساطة والتعقيد، والبراءة والقصد، إلا أنها تبقى مواضيع وأشكالا ورموز، تعبر عن مكبوتات نفسية، وأقوال داخلية، تبحث عن قناة تصريف ولغة تترجمها إلى تعبير.

ولكن الحديث عن هذه الكتابات والرسومات لا يتوقف عند تفريغ المكبوتات وحسب، بل يتعداه ليصنف كتأريخ لفترة من حياة هذا الطفل أو المراهق أو الشاب، وتدوين لمحتوى ذاكرة مهمة على بساطتها أو محدوديتها.

الكلمات المفتاحية : الكتابة والرسم . المؤسسات التعليمية. المعاش النفسي.

Résumé

Les graffitis parsèment les tables dans les salles de cours des établissements scolaires, des instituts de formation professionnelle, ainsi que dans les établissements de l'enseignement supérieur. Ces graffitis sont un moyen de communication, d'expression, et de donner libre cours aux sentiments les plus refoulés chez les jeunes adolescents. Ils représentent également l'histoire de la vie psychique des élèves et des adolescents, et font partie de leur patrimoine personnel.

Mots clés: Graffitis, Etablissements scolaires, Vie psychique.

مقدمة :

من منا لم يرفع قلمه يوما ليكتب على طاولة الدراسة أيام الدراسة أو المكتب بعدها؟ سؤال تقل الإجابات عليه بالسلب، فسواء كان عن قصد أو عن غير قصد فالكثير منا عبر عن إحساسه وشعوره بهذه الطريقة، في ظاهرة عابرة للأجيال والأزمان، يشترك فيها جيل اليوم مع جيل الأمس والغد، باختلاف في الخصوصيات المرتبطة في أشكال الكتابة والرسم والمواضيع المختارة، ولكن الهدف كان ولا يزال واحداً.

الكتابة والرسم على كظاهرة اجتماعية:

هي عبارات للغزل، عبارات حب، أسماء وألقاب لأحبة ومقربين أو مشاهير، أبيات شعر ومقاطع أغان، حكم وأمثال مأثورة أو من تأليف كاتبها، تواريخ وأرقام هواتف، كلمات جارحة ومسيئة، رسومات للأعين والدموع، لأشخاص، علم لدولة أو رمز فريق أو مجموعة، حتى التنظيمات الارهابية، وجماعات المافيا، رسمت رموزها عن قصد ولأول غير قصد، وغيرها من المواضيع الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية، والغير أخلاقية، التي نراها بشكل يومي منقوشة على طاولات الأقسام، وبقدر ما هي منقوشة على لوح الطاولات، فهي منقوشة في أذهان وعقول وقلوب ناقشيها، فما هي حقيقتها؟

ففي اللغة الأجنبية تسمى les Graffitis وعرب هذا المصطلح فنجد على صفحات الانترنت "غرافيتي" نسبة إلى كلمة graff أي الكتابة أو الرسم على الجدار، وكذلك نجد منهم "les tags" وتعني الحفر أو النقش على الجدار (سهيل إدريس 2004)، وهي الكتابات والرسومات الجدارية أو الحائطية أو ما يكتب على الطاولات والمكاتب أو ينقش ويحفر على الأشجار والأبواب.

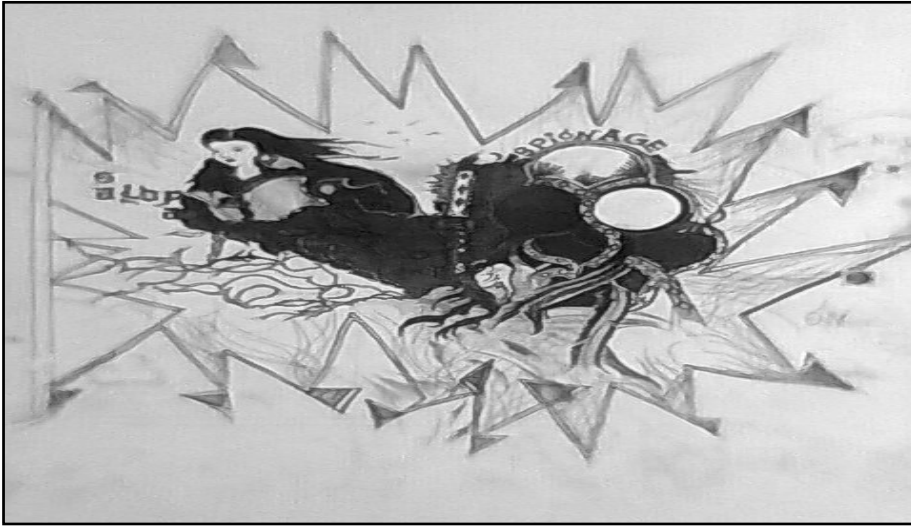


إن الحديث عن هذه الكتابات أو الرسومات يقودنا لظاهرة تشمل المجال الإنساني كافة، بدأت مع بداية الإنسان، ثم تطورت مع تطوره، فكانت الرموز والرسوم في الكهوف والمغارات التي يعود تاريخها إلى قرون عديدة مضت، وصولاً إلى شكلها الحالي مع جيل اليوم، وما صاحبها من تطور في علم الغرافيتي، حيث ازداد الحديث عن جوهر هذه الظاهرة وتوصيفها ضمن الإطار الأدبي العام لتعريف الأدب أو الفن، إذا أخذنا الأدب بمفهومه العام الذي ورد في تلك الأدبيات وحدده الكثير من الباحثين بالمفهوم الواسع الشامل لكل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي ليوصله إلى الذاكرة حتى أن (أغسطس بوك) أراد أن يجعل النقوش البدائية لشعب من الشعوب داخلية في دائرة أدبه وأراد (فلهلم شيرد) أن يدخل تاريخ العلوم في دائرة البحث الأدبي التاريخي (برو كلمان، كارل).

يعتمد الباحثون إلى تقسيم الكتابات الجدارية إلى نوعين من الكتابات:

النوع الأول: ويسمونه الكتابة العامة وتكون البداية من الأسماء والرموز والأسماء التي تكتب وتحفر أو ترش بالدهان على الجدران الخارجية والأشجار والأسيجة ولوحات الإعلان، والأنفاق.

النوع الثاني: الكتابات الخاصة وهي الكتابات التي توجد على جدران داخلية عموماً، وعلى جدران المراحيض خاصة وما إلى ذلك، إذ إن الجدار له دور داخلي في البيوت ولا يدخل هذا الإطار في التوصيف السابق للكتابة الخاصة، وقد اقترح الن دنديز العالم الأثربولوجي الأمريكي اسماً خاصاً لمثل هذا النوع من الكتابات، وأسماءه (Latrinatia) وقد انتقد ايرنست ابل هذا التعريف، إذ يرى ألا حاجة لدينا إلى مصطلح جديد ما دام جوهر المصطلح الذي أورده دنديز يدل على الظاهرة نفسها دون تداخلات جديدة . (Abell, E. Buckley.B. 1977).



في مقال بعنوان - الكتابة على الطاولات.. من المدرسة إلى العمل إفراغ المكبوتات- نشر في جريدة المساء يوم 02 - 10 - 2009، تطرق الكاتب إلى أن الكتابة على طاولات المدرسة تدرج في خانة تخريب الأملاك العمومية وأملاك الدولة التي يعاقب عليها

القانون، فالطاولة ملك عمومي ويتداول عليها التلاميذ، وقد طرح السؤال على مدير متوسطة حول العقوبات التي تترتب عن مثل هذا الفعل، خاصة إن تم ضبط التلميذ متلبسا ليؤكد: "القاعدة العامة في التشريع المدرسي، هي الحفاظ على ممتلكات المدرسة، وبذلك يترتب عن إتلاف التجهيزات تعويض مادي من التلميذ والأولياء إذا ثبت ذلك، ومن أهم الإتلاف، الكتابة على الطاولة".

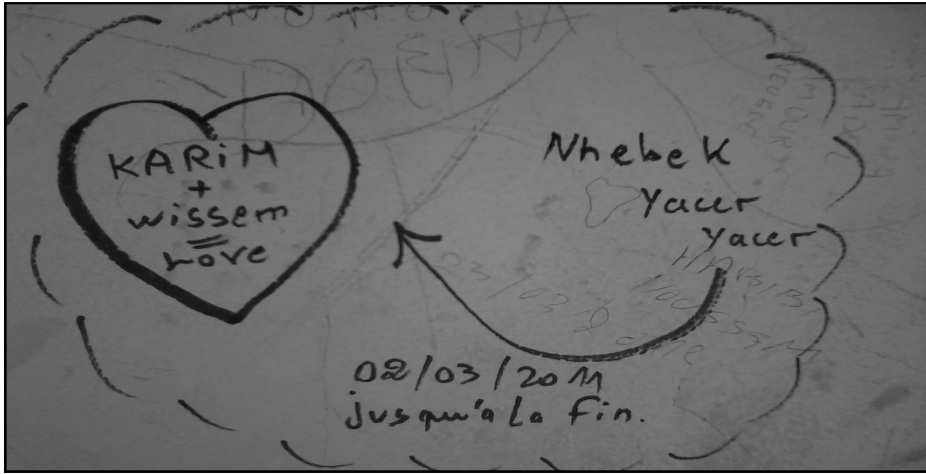
وقد تستعمل الكتابة على الطاولات من أجل الغش، وهو أمر شائع في الجامعات والمعاهد أكثر من غيرها من مؤسسات التربية والتعليم، وبالتالي فإن العقوبة تكون مزدوجة بين عقوبة الغش وعقوبة التخريب.

إن الكتابة على الطاولة يعد سلوك غير تربوي، وهو يخالف التشريع المدرسي، لأن الطاولات التي تمت الكتابة عليها، لا تعطي الوجه اللائق للقسم ولا تساعد من يأتي من التلاميذ في الموسم الدراسي الجديد على التركيز، حيث ينشغل الجالس إلى الطاولة بقراءة ما كتب والتفرج إلى ما رسم مرات عديدة، وقد يعطيه المنظر فكرة الكتابة والرسم هو الآخر، ولهذا تقوم بعض المؤسسات بإعادة صبغ هذه الطاولات بعد نهاية كل موسم دراسي تحضيراً للموسم الدراسي الجديد.

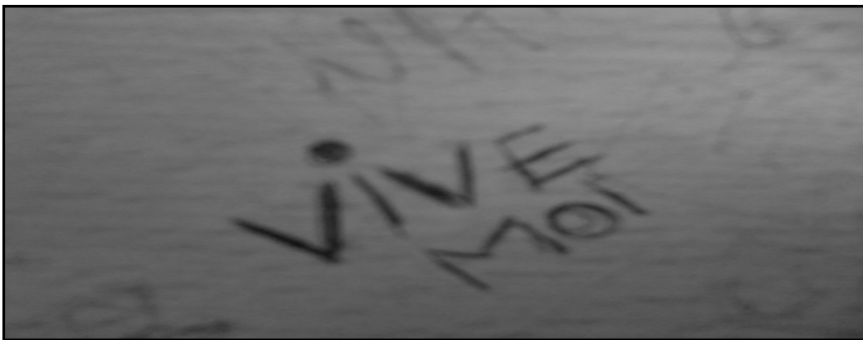
الرسم والكتابة على الطاولات كتعبير وتفريغ للمكبوتات:

بقدر ما كانت هذه الكتابات والرسومات في نظر العديد من الأشخاص كخربشات وعبارات خاصة بشخص معين، أو تفاهات وهدر للوقت، أو سلوكات تخريبية يجب المعاقبة عليها، فهي في نظر علم النفس مادة خام، تدفع لدراسة مكبوتات هذه الفئة من المجتمع، فعند الحديث عما يكتب ليستعمل للغش في الامتحانات، يكون الأمر في غاية الوضوح ومتفق عليه كسلوك غير مقبول يستوجب العقاب، أما إذا تعلق الأمر بكتابات ورسومات ذات دلالات عاطفية أو اجتماعية أو ثقافية، أو حتى سياسية واقتصادية، فيكون الأمر محتاجاً لدراسة وتحليل، خاصة وأنها ظاهرة لا تقتصر على التلاميذ والطلبة فقط، بل تمتد في حياة الفرد حتى في مكان عمله، فحسب الأستاذ سمير بوطمين: "إن

هذا التصرف يلاحظ عند الكبار، خاصة خلال الاجتماعات، ويدل على أنهم لم يتمكنوا من متابعة الاجتماع والتركيز فيه والمشاركة بطريقة فعالة وعدم ثقتهم بأنفسهم، ويعكس عدم الاهتمام عبر رسوماتهم، وكأنهم يقولون أن هذا الاجتماع لا طائل منه"، وعند الحديث عن تفريغ مكبوتات نفسية فالأمر مشترك بين الفئات العمرية ولا يقتصر على الشباب والمراهقين فقط.



باختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها، نجد على طاولات المدارس والمعاهد ما يعبر عن الرغبة في البوح بأسرار دفينّة، أو الاعتراف بحقائق، أو الولاء لجهة... وغيرها مما تعذر قوله علنا، مما يجعل التعبير عما يجول في خاطر من خلال الرسم على الطاولة أو الكتابة عليه.

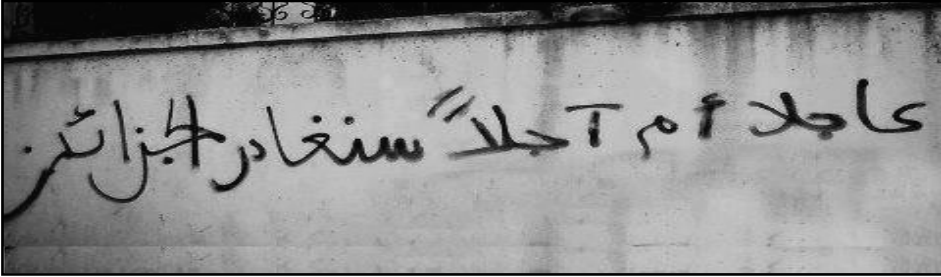


تفريغ المكبوتات بتأريخ ذاكرة المرحلة:

إن الحديث كتابات الشباب ورسوماته على طاولات الدراسة كسلوك ذو تفسير نفسي يدفع بنا إلى الحديث عن هذا السلوك كوسيلة للتأريخ والتدوين، تأريخ وتدوين حقائق وتجارب معاشة من قبل هذا الفرد عبر طريقة تضمن التنفيس والتفريغ من جهة وحفظ الحقائق كذاكرة حية من جهة أخرى، دون المجاهرة أو كشف الهوية، فمن تكتب أو ترسم ما يدل على علاقة لها مع حبيب وكأنها تدونها على الطاولة للحفظ والذاكرة، فيبقى خالدا في نظرها وعابرا للأجيال على اعتبار أن الطاولة تبقى حيناً طويلاً من الدهر في الخدمة، ومن كتب أو رسم ما يدل على ولاء لجهة فكأنها دونها لتحفظ وتقرأ كل يوم، وكأنك عند النظر إلى طاولة مكتوب أو مرسوم عليها، تتصفح كتاب تاريخ أو مدونة لشخص ما، أو تقرأ مذكرات لشخص وضعها بين يديك.



كل هذه المفاهيم تدفع إلى تزاوج بين أفكار علم النفس التحليلية لمضامين خاصة بأفراد، ومحاولة الربط بينها وبين أحاسيس داخلية تتحكم في شعورهم وسلوكهم، وفكر التدوين والتأريخ لوقائع وحوادث وتجارب عايشها أناس أو حولوا عيشها، نجحوا فيها أو فشلوا، أفرحتهم أو آلمتهم، وأرادوا لها عمراً أطول من خلال ذاكرة حية، تتداولها ألواح طاولات يجلس عليها أجيال بعد أجيال.



المراجع:

- سهيل إدريس: المنهل فرنسي عربي، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط33 2004، ص586.

- برو كلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي.

- Abell, E. Buckley.B. 1977, The hand writing on the walls. Toward. a sociological and psychological of Graffiti Greenwood, Westport, p 16.

- جريدة المساء يوم 02 - 10 - 2009 و125 (الفقرة 2).